الاقتصاد والمجتمع

مجلة مغربية للبحث والحوار

- الخطاب الاقتصادي بالمغرب
- عبر تاريخية التهميش
- التجارة في مغرب العصر الوسيط
- رحلة الجعيدي السفارية لأوروبا
- المجال بالدار البيضاء
- صناعة السكر بمنطقة الغرب

ISSN : 0851-0474 رقم الايداع : 1986-18 يونيو 1991 5 :

الثمن : 16 درهم

الاقتصاد والمجتمع
مجلة مغربية للبحث والحوار

المـديـر : التهامي الخياري

كتابة التحرير :
محمد الرهـج
عبد السلام الصديقي
جمال التباع
لطفي مريني
عبد الحق الخياري

هـيـأة التحريـر

سعد بلغازي — محمد بوطاطة — عبد القادر نوكاوي
عبد الكريم بلكندوز — أحمد دريوشي — سعيد أوعطار
أحمد بلحامض — محمد الفائز — حسن أوحلي
إدريس بنعلي — أحمد الغرباوي — لكبير أوصالح
حبيب بنصحراوي — ادريس فرج — المسعودي العياشي
عمر بركات — عبد الكبير فكري — محمد الرقعي
عبد القادر برادة — نزهة العمراني — محمد السعدي
يوسف الدباغ — عبد الرسول لحضيري — عبد الواحد سهيل
عبد العزيز بوعامي — محمد موحتان — علال العياشي
ميمون حريش — حساين مومو — رشيد بنيخلف

الإدراة والتحرير والإشتراك :
مجلة الإقتصاد والمجتمع
ص ب : 6330 المعاهد الرباط (المغرب)
ح ج ب : 45B — 328 C.C.P الرباط

الاشتراك السنوي

	المغرب	الخارج
الخواص :	40 درهم	60 درهم
المؤسسات :	100 درهم	150 درهم

الإشتراك التشجيعي : ابتداء من 150 درهم

الصناعة السكرية و بعض انعكاساتها
(دراسة حالة الغرب)

* **موسى كرزازي**
كلية الاداب بالرباط
* **مبارك الشيكر**
المركز التربوي الجهوي
القنيطرة

تمهيد

اصبحت الصناعة الفلاحية و ضمنها الصناعة السكرية احد الركائز الاساسية في الاقتصاد المغربي. فبفضل تشجيع الدولة للزراعات السكرية المندمجة في اطار مشاريع الري العصري بالدوائر السقوية، و بفضل مجهوداتها التي تطلبت من الشعب المغربي تضحيات كبيرة من اجل خلق صناعة سكرية وطنية، تمكن المغرب من تغطية 69,5% من استهلاكه الوطني من مادة السكر، و يتوقع ان يلبي كل حاجيات البلاد من هذه المادة عام 2020 حسب بعض الخبراء.

فقد انطلقت التجربة المغربية المعاصرة في ميدان الزراعات و الصناعات السكرية من منطقة الغرب بادخال زراعة الشمندر و خلق اول نواة للصناعة السكرية بمدينة سيدي سليمان سنة 1963. و بلغ عدد المعامل اليوم (سنة 1990) 13 معملا على الصعيد الوطني، تنتج ازيد من نصف مليون طن من السكر، و تشغل 8000 من اليد العاملة الدائمة، و عشرات الآلاف من اليد العاملة المؤقتة و الموسمية على مستوى الحقول، و المعامل، و القطاعات المرتبطة بها كقطاع النقل، و الصناعات المشتقة عنها. و لها آثار ايجابية ساهمت في التحولات المجالية و الاقتصادية و المجتمعية، دون ان تخلو من بعض العواقب السلبية المضرة بالبيئة.

و سوف نركز في هذه الدراسة على الصناعة السكرية بالمغرب من خلال حالة الغرب باعتباره عرف اول تجربة معاصرة شهدتها البلاد بعد الاستقلال، و نظرا لحجم هذه الصناعة التي تغطي بفضل معاملها الخمس 34% من الانتاج الوطني، اضافة الى دورها الفعال في تنشيط القطاعات الاقتصادية في ارياف و حواضر الغرب، و مالها من انعكاسات اقتصادية و اجتماعية ايجابية او عواقب سلبية كمشكل التلوث.

و من التساؤلات المطروحة التي نسعى للاجابة عنها :

- مكانة الصناعة السكرية بارتباطها مع الزراعات السكرية بالغرب و دورها في تطوير المنطقة.
- الاصل الجغرافي لليد العاملة و خصائصها الديمغرافية و ظروف عملها.
- اثار الصناعة السكرية على المجال، و الاقتصاد، و المجتمع، و بعض عواقبها السلبية.

و قد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على منهجية استقرائية و استعملنا مختلف التقنيات و وسائل البحث لبلوغ الهدف ؛ حيث جمعنا المعطيات و و المعلومات من المصالح المختصة في ميدان الزراعة و الصناعة السكرية و على الخصوص :

- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب بالقنيطرة (ORMVAG).

- الجمعية المهنية للسكر بالرباط (A.P.S).
- الادارات المركزية لمعامل السكر بالرباط (معملي الشمندر بسيدي علال التازي، و بلقصيري، و معمل القصب السكري بدار الكداري)
- ادارتا معملي الشمندر (بسيدي سليمان)، و قصب السكر (ببلقصيري).

و ركزنا على الوثائق و ملفات العمال، اضافة الى الاعتماد على الاستمارات التي انجزها مجموعة من طلبتنا مع العمال في اطار تأطيرنا لبحوث الاجازة بكلية الاداب بالرباط[1] خلال السنة الجامعية (89 - 1990) حيث قمنا بفرزها و استخراج الخصائص الديمغرافية و الثقافية و الاصل الجغرافي لليد العاملة الدائمة على مستوى المعامل الخمس[2]. اضافة الى المقابلات التي اجريناها مع مجموعة من المسؤولين و التقنيين في الوحدات الصناعية أو في الجمعية المهنية للسكر (APS).

كما استفدنا من مجموعة مقالات و تقارير حول تطور هذه الصناعة. و التي يعاب عليها أنها لم تهتم بالجوانب الديمغرافية و خصائص اليد العاملة و ظروف عملها، بل تركز فقط على الجوانب التقنية و الاقتصادية.

و لم نتمكن من الاحاطة بكل الجوانب التي تهم اليد العاملة المؤقتة و الموسمية لكونها غير قارة، و لا تتوفر على ملفات ادارية على غرار اليد العاملة الدائمة، و صعوبة الاتصال بها خلال العمل، اضافة الى تشتت مكان اقامتها.

و سوف نعالج المحاور التالية :

I . مكانة الصناعة السكرية في الاقتصاد الوطني.

II . اهمية الصناعة السكرية بالمغرب

III . اليد العاملة بمعامل السكر بالغرب.

IV . انعكاسات الصناعة السكرية، و بعض عواقبها بمنطقة الغرب.

خلاصة عامة.

1 - مكانة الصناعة السكرية العصرية في الاقتصاد الوطني

1-1 تجارب المغرب في صناعة السكر

1-1-1 لمحة موجزة عن بعض التجارب الماضية

كان المغرب قد عرف توسعا لزراعة قصب السكر بموازاة ازدهار صناعة السكر المرتبطة بها خلال القرون الماضية، و اساسا في القرن 16 في عهد الدولة السعدية، حيث انتشرت معاصر السكر في عدة جهات من البلاد كسوس، و الحَوز[4].

و اشتهر المغرب في عهد أحمد المنصور الذهبي، كمصدر لمادة السكر، حيث كان يتبادلها مقابل استيراده منها مادة الرخام، و كذا مع بلدان اوربية و افريقية أخرى.

و على الرغم من تلك التجربة القديمة الرائدة في هذه الصناعة المعتمدة على المعاصر، فانها سرعان ما اختفت ابان الاضطرابات التي رافقت أفول الدولة السعدية، و عدم استقرار البلاد، و التي تزامنت ايضا مع بروز اقطاب عالمية منتجة للسكر و منافسة قوية للمغرب خاصة في امريكا اللاتينية.

و باندثار هذه الصناعة، اصبح المغرب مستوردا لكل حاجياته من الاقطار الاجنبية ؛ و خسر الرهان في تطوير صناعته هذه، و في مواكبة التطورات و التحولات التي شهدتها اوربا خلال عصر النهضة سابقا، و عصر الثورة الصناعية و الفلاحية لاحقا.

و تجدر الاشارة الى ان المغرب امام تبعيته للخارج في استيراد مادتي السكر و الشاي، قد اضطر الى خَوض تجربة جديدة في ميدان الصناعة السكرية، من خلال ميلاد نواة عصرية لها بمدينة مراكش، على عهد السلطان العلوي محمد الرابع، في اواسط القرن 19 (سنة 1984).

و لم يكتب لهذه التجربة التوفيق لانها كانت معتمدة كليا على الخارج، ليس فقط في تمويلها و استيراد آلاتها البخارية و قطع غيارها، بل ايضا في تسييرها التقني المعتمد على الاجانب بتنسيق مع القواد، و كذا التنافر الحاصل بين عقلية المخزن (القواد)، و التقنيين الاجانب[5]، و استخدام العبيد كايدي عاملة بدون العناية بهم.

و عند المقارنة بين معاصر السكر القديمة، و النواة العصرية في القرن 19 يتبين الاختلاف الواضح بين التجربتين، ذلك ان الاولى اعتمدت على الامكانيات المحلية، في حين اعتمدت الثانية على الخارج كما هو موضح في الجدول التالي.

جدول (1) مقارنة بين تجربتي المغرب في الصناعة السكرية (القرن 16 و القرن 19).

الفترة	عدد و مواقع الوحدات الصناعية	الطاقة المستخدمة	المعدات	اليد العاملة	التسيير	الهدف من الانتاج
القرن 16	14 وحدة . قريبة من المادة الاولية .	مائية	صنع محلي	عبيد	مزارعين يهود و نصارى	التصدير
القرن 19	1 (وحدة واحدة). زراعات متشتتة.	بخارية و حيوانية	مستوردة	عبيد	اجانب و قواد	الاستهلاك المحلي.

المصدر : Naji (M), L'industrie sucriere au Maroc precapitaliste. 1983 (Inedit).[5]

و لا بد من الاشارة ايضا الى التجارب التي نظمت في عهد الحماية في ميدان البحث الزراعي بمنطقة السايس حول زراعة الشمندر، و التي اعطت نتائج مشجعة، لكنها لم ترق الى مستوى اقامة صناعة سكرية في البلا، نظرا لمعارضة سلطات الحماية لهذا المشروع باستمرار[6].

1 - 1 - 2 التجربة الحديثة بعد استقلال البلاد

بعد استقلال البلاد اهتم المغرب بالزراعات السكرية حيث ادخل زراعة الشمندر الى منطقة بهت سنة 1963. و مباشرة، شيد اول مصنع بالبلاد (SUNAB)، في نفس السنة بمدينة سيدي سليمان ؛ فكانت الانطلاقة الاولى لخلق صناعة سكرية عصرية في المغرب المستقل في اطار سياسة الدولة في ميدان الفلاحة. و تعززت النواة الاولى بوحدات جديدة في كل من الدوائر السقوية الكبرى : الغرب، تادلة، ملوية السفلى، دكالة، اللكوس.

و يعتبر الغرب حقلا للتجارب الاولى، سواء في زراعة و معالجة الشمندر أو قصب السكر ؛ ذلك أن مصنعا للقصب السكري قد شيد بمشرع بلقصيري سنة 1975.

و يمكن اعتبار التجربة الجديدة الحالية فريدة من نوعها، لكونها تختلف في حيثيات انشائها و مميزاتها عن كل التجارب السابقة ؛ فهي تاتي في اعقاب استقلال البلاد و حاجة المغرب الفتي الى توفير العملة الصعبة. ان خلق صناعة سكرية فرضتها من جهة : الضرورة الملحة المرتبطة بتلبية الحاجيات و الطلبات المتزايدة على مادة جد استراتيجية في التغذية و في الصناعات الغذائية سواء في عالم الارياف أو الحواضر ؛ و من جهة ثانية، ظروف السوق الدولية المتقلبة الاسعار في اتجاه الارتفاع المتزايد. و على سبيل المثال، فقد كان سعر الطن المتري من السكر الخام سنة 1965 لا يزيد عن 44 دولار امركي، و اذا به يرتفع بوتيرة مدهشة الى 81 دولار سنة 1970 و 449 دولار سنة 1975، و بلغ فيما بعد حوالي 620 دولار حسب احصائيات البنك الدولي للانشاء و التعمير (BIRD)[7].

1 - 2 اهمية الصناعة السكرية و الزراعة المرتبطة بها في اقتصاد البلاد

1 - 2 - 1 ثقل الدولة في القطاع الصنعي السكري

أعطت الدولة المغربية للزراعة و الصناعة السكرية اهتماما خاصا لهما. و لا يزال ثقلها الى يومنا هذا - أي قبل عملية الخوصصة التي ستقدم عليها الحكومة - بارزا

في القطاع السكري لا على مستوى الاستثمار. و قد استطاعت هذه الصناعة ان تحقق رقما للمعاملات يقدر ب 4 ملايير درهما. و تعتبر صناعة غذائية تدخل ضمن الصناعة الفلاحية التي تحتل المرتبة الثانية في الصناعة التحويلية[8].و تشغل 8000 عامل دائم[9] اضافة الى العمال المؤقتين والموسميين.

الهدف من هذه العناية التي أولتها الدولة للصناعة السكرية هو تكثيف الانتاج و رفع الانتاجية، و تحسين المستوى المعيشي للفلاح و العامل الزراعي و الصناعي، و تنمية الجهات التي توطنت فيها الوحدات، ورفع مردودية التجهيزات المائية الاساسية، اضافة الى تحقيق الامن الغذائي في مادة السكر، و توفير العملة الصعبة.

و تعتبر الصناعة السكرية امتدادا للزراعة السكرية. و لذلك حظيت زراعتها الشمندر و قصب السكر بدعم الدولة في اطار الزراعات المندمجة، عن طريق أجهزتها التقنية و اساسا المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. ان الفلاح يوقع عقدة مع المكتب الفلاحي، يلتزم فيها بتخصيص مساحة معينة للزراعات السكرية، و تزويد المصانع بالمادة الاولية بعد جمع المحصول، مقابل تقديم مساعدات تقنية و مادية و تاطيرية للفلاح. كل هذه الجهود تبذل من اجل ضمان استمرار تغذية معامل السكر بالمادة الاولية في افضل الشروط. و لكن ذلك لا يتحقق دوما في التطبيق، نظرا للمصاعب التي تلاقيها هذه الزراعات، و التي لم تجد حلا الى يومنا هذا.

2 - 2 الانتاج على مستوى الزراعات و الصناعة السكرية.

1 - 2 - 2 - 1 الزراعات السكرية تتصدر الزراعات الصناعية

تحتل الزراعات السكرية المكانة الاولى في الزراعات الصناعية سواء على مستوى المساحات المزروعة و المحصودة او على مستوى الانتاج خاصة بالنسبة لمزروع الشمندر: اذ تمثل مساحته ازيد من نصف المساحة المخصصة للزراعات الصناعية

جدول (2) : المساحات المزروعة في الموسم 86 - 1987
(بالاف الهكتار).

الزراعات الصناعية	المساحة	٪
المساحة المزروعة	1198	100
المساحة المحصودة	1128	100
الشمندر		
م. المزروعة	63	52
م المقتلعة	60.7	53.8
قصب السكر		
م المغروسة	17.7	14.7
م المحصودة	13	11.5
القطن	15.5	12.9
اخرى	23.6	19,69

المصدر : Annuaire. stat. Maroc 1988 p 46 (النسب المائوية من وضعنا)

ان مساحة الزراعات السكرية تمثل 2/3 المساحات المخصصة للزراع الصناعية و الباقي موزع على باقي الزراعات الصناعية الاخرى، و تتقارب الن ايضا بالنسبة للمساحات المحصودة أو المقتلعة.

و تظهر اهمية هذه الزراعات ايضا على مستوى الانتاج و المردودية. فمن 36.3 مليون قنطار من الزراعات الصناعية، تهيمن زراعتا الشمندر و القصب على الانتاج تقريبا اي ب 35.98 مليون قنطار. و الباقي موزع على القطن و منتو اخرى.

1-2-2-2 المغرب يغطي حوالي 70% من استهلاكه الوطني من السكر

في وسط الستينات كان المغرب يستورد كل من حاجياته السكرية من الخارج ؛ و بفضل توسع الزراعات السكرية، و ما واكبها من توطن للوحدات الصناعية في عدة جهات من البلاد ارتفع الانتاج السكري تدريجيا. ففي سنة 1963 كان الانتاج الوطني محدودا (9300 طن من السكر) و يغطي فقط 25% من الاستهلاك الوطني المقدر آنذاك ب 378.844 طن. و لذلك كان المغرب مضطرا لاستيراد 97,5% من حاجياته. و مع نهاية الستينات أصبح يغطي 28.9 %، لتتضاعف النسبة في نهاية السبعينات (61.3%). و بلغت سنة 1988 حوالي 70% و حسب التوقعات المستقبلية – ان صحت – فان المغرب سينتج عام 2020، حوالي 1,22 مليو ن طن من السكر، و هو رقم سيغطي حاجياته 100%. (جدول 3).

ان تطور الانتاج تصاعديا كان موازيا لتشييد معامل جديدة للسكر في المناطق الغنية من البلاد، و منها واحدة لمعالجة الشمندر، و ثلاثة لمعالجة قصب السكر، و واحدة مختلطة و تعالج يوميا 40.000 طن من الشمندر، و 10.000 طن من قصب السكر، و بهذا فهي تساهم في انتاج 530.000 طن من السكر في كل موسم، انطلاقا من الموارد الاولية المحلية. و بالاضافة الى هذه الوحدات، يتوفر المغرب على مصفاة لتكرير السكر بالدار البيضاء، و تطوان، و سوق السبت. و اهمها كوزيمار (COSUMAR) التي شيدت سنة 1929، و تبلغ طاقتها الانتاجية 364.000 طن سنويا، و تشغل 3160 عامل دائم و مصانع التصفية الجديدة للسكر بالمغرب (OIM) التي شرعت في العمل سنة 1939 . و لها طاقة انتاجية تبلغ 56.000 طن من السكر سنويا، و تشغل 801 مستخدم دائم.

و الى جانب هذين المعملين توجد بتطوان الشركة المساهمة للسكر و الكحول (CAAMSA) التي تأسست عام 1950 و تبلغ طاقتها السنوية 15400 طن من السكر.

اضافة الى " معمل السكر و التكرير بتادلة " (SUTA) في سوق السبت المشيد سنة 1966، و طاقته الانتاجية السنوية 75.000 طن من السكر. و يشغل المعملان الاخيران 430 مستخدما بصفة دائمة[10].

تطور انتاج و استهلاك السكر بالمغرب

جدول (3)

السنة	الانتاج الوطني بالطن	تغطية الحاجات ٪	الاستهلاك الوطني بالطن
1963	9.300.	2,5	378.844
1968	802.400.	28,9	355.051
1973	192.546	40,7	473.448
1978	362.800.	61,3	591.974
1983	420.688	65	646.866
1988	504.985	69,5	725.741
2020	1.220.000	100	1.260.000

المصدر : Journees de sucre les 15,16,17 Juin 1989 ville de Bel Ksiri Brochure

1 - 2 - 3 تطور انتاج و استهلاك السكر المكرر بالمغرب

ينتج المغرب 3 أنواع رئيسية من السكر المكرر يتصدرها نوع القالب، و يليه النوع المحبب (مسحوق السكر)، و اقل اهمية من النوعين الاولين من حيث حجم الانتاج من نوع قطع السكر. و يفوق الانتاج العام 620 ألف طن، و ان كان يعرف نوعا من التذبذب. و قد بلغ الانتاج سنة (1987) 685.880 طن[11] موزعة بين القوالب و تمثل 53,8%، 36,8% لمسحوق السكر، والباقي اي 9,4% لقطع السكر.

و يلاحظ نوع من التخصص في التكرير، حيث ان معمل (COSUMAR) كوزيمار[12] بالدار البيضاء يهيمن على انتاج القوالب، و القطع، بينما باقي الوحدات الصناعية – باستثناء – معمل سوق السبت (SUTA)، تتخصص في انتاج السكر المحبب.

و يلاحظ ايضا نمو في انتاج السكر المحبب، و القطع، و تراجع نسبي في انتاج القوالب.

و لعل هذا يفسر باقبال السكان على المسحوق السكري نظرا لانخفاض ثمنه نسبيا، و استهلاكه في الحواضر، مع توسع الصناعات الغذائية كالحلويات و المشروبات، و انتشار المقاهي. اما القوالب فيتم استهلاكها خصوصا في الارياف المغربية (جدول 4)

و على صعيد الغرب، فانه يساهم عن طريق معملي سيدي سليمان، و دار الكداري بانتاج مسحوق السكر بنسبة 14% من الانتاج الوطني من هذا النوع سنة 1987.

و رغم ما انتجته معامل التكرير (752.485 طن) سنة 1988، فان المغرب استورد حوالي 278.000 طن معظمه من السكر الخام بقيمة 558 مليون درهم، معظمها استوردت من بلدان امريكا اللاتينية[13]، ذلك ان استهلاكه بلغ في نفس السنة و من جميع الانواع 725.979 طن. و استطاعت معامل السكر الوطنية ان تغطي 504.674 طن من الاستهلاك (اي بنسبة 69,5%) و هو من انتاج محلي يستخرج في معظمه (78%) من الشمندر، و الباقي (22%) من قصب السكر. و بهذا استطاع المغرب أن يغطي ما يقارب 2/3 حاجياته من الاستهلاك الوطني، و بالتالي ان يخفف علي الميزانية العامة من النفقات بالعملة الصعبة.

جدول (4) تطور انتاج السكر المكرر بالمغرب (بالطن)

انواع السكر و معامل التكرير	1983	1985	1987
سكر القوالب	419.414	361.271	360.014
كوزيمار سوق السبت	365.261 54.153	338.664 22.607	346.715 22.299
سكر القطع كوزيمار	50.135	54.279	64.494
سكر محبب	217.894	207.601	252.372
كوزيمار	24.070.	27.957	31.740.
كامسا	17.540.	18.060.	15.764
سوق السبت	15.260.	20.728	37.182
سكرافور/زايو	13.714	11.383	22.248
سونابيل/القصر	25.433	28.100.	24.415
سراك/دار الكداري	43.444	22.800.	24.912
زمامرة	53.011	52.418	59.647
سكرال/العرائش	-	14.318	24.906
المجموع	687.433	623.151	685.880.

المصدر MISTERE DU COMMERCE ET DE L'INDUSTRIE
(DIR. STA. MAROC. 1988 . P 144)

2 - اهمية الصناعة السكرية بالغرب

2 - 1 الغرب قطب للصناعة السكرية (شكل 1)

أصبح الغرب يتوفر على بنية صناعية هامة تطورت منذ مطلع الستينات، و تلعب دورا اساسيا في تنمية المنطقة، و ذلك لكونه يتوفر على خمس معامل، لها طاقة انتاجية تفوق 1,5 مليون طن سنويا، و هو ما يمثل ثلث الطاقة الانتاجية لمجموع معامل السكر على الصعيد الوطني. و تحقق معامل الشمندر الثلاث و حدها رقم معاملات يقدر ب 300 مليون درهما، اضافة الى غلاف مالي يقدر ب 172 مليون درهما يدفع للفلاحين مقابل محاصيلهم من الشمندر سنويا[14]، و استفادة العمال من ارباح المعامل الخمس المحددة في 10% منها 5% تدفع مباشرة للعمال في نهاية الموسم، و النصف الباقي يدفع لصندوق الشؤون الاجتماعية.

ان مصانع الغرب تمتاز بالتنوع ؛ منها معملان حديثان نسبيا يعالجان قصب السكر، و ثلاث معامل تعالج الشمندر و هي اقدم نسبيا من الاولى. و تتراوح طاقتها الانتاجية الإسمية بين 2500 طن/اليوم (SUNAGAS)، و 4000 طن / يوم (SUNAG)، كما انها تشغل حوالي 200 عامل دائم لكل منها في المتوسط، و ما يقارب هذا العدد من العمال الموسميين، و هو ما يمثل حوالي 3000 عامل دائم و موسمي و مؤقت في المعامل وحدها، دون ان ننسى المشتغلين في الحقول و النقل و القطاعات المرتبطة بهذه الصناعة. فالغرب يتصدر الدوائر السقوية من حيث عدد المعامل، و عدد العمال و المستخدمين بنسبة 50% من اليد العاملة الدائمة على الصعيد الوطني.

كما ان هذه المعامل تعالج 16.000 طن من الشمندر و القصب يوميا في المتوسط من أصل 50.900 طن يوميا على الصعيد الوطني و هو ما يمثل 31,4% من الانتاج الوطني اليومي ؛ و بذلك تفوق كل الجهات الاخرى (جدول 5). و لا تزال اهمية معالجة الشمندر (1000 طن) تفوق نظيرتها في قصب السكر (600 طن/يوم).

و كذا على صعيد الغرب، تعتبر الصناعة السكرية العمود الفقري لاقتصاد المنطقة لما تمثله من أهمية بالنسبة للسكان و القطاعات الاقتصادية المرتبطة بها.

مكانة الغرب في الصناعة السكرية بالمغرب

الدوائر السقوية	المعمل و التوطين	تاريخ الانطلاق	عدد اليد العاملة	طبيعة المنتوج	الطاقة الاسمية في اليوم/طن
الغرب	(SUNAB) بن سليمان	1963	453	سكر ابيض	3000 شمندر
	(SUNAG) م. بلقصيري	1968	478	س. خام	4000 ش.
	(SUNAG) س.ع. التازي	1968	478	س. خام	4000 ش.
	(SUNACAS) م. بلقصيري	1975	172	س. خام	2500 قصب.س
	(SURAC) دار الكداري	1981	172	س. محبب	3500 قصب.س
تادلة	(SUTA) سوق السبت	1966	870	س. قالب س. محبب	3600 ش
	(SUBM) بني ملال	1969	269	س. خام	4800 ش
	(SUNAT) اولاد عياد	1971	270	س خام	6000 ش
دكالة	دكالة س. سور	1970	180	س خام	4000 ش
	(زمامرة) خميس زمامرة	1982	175	س. محبب و ابيض	4000 ش
اللوكوس	(SUNABEL) القصر الكبير	1977	190	س. محبب و ابيض	4000 ش
	(SUCRAL) العرائش	1984		س ابيض	3500 ق
ملوية السفلى	(SUCRAFOR) زايو	1972	260	س محبب س ابيض	1000طن/ش 1000طن/ق

2 - 2 صعوبات تعترض الصناعة السكرية بالغرب.

رغم الدور الفعال الذي تلعبه الصناعة السكرية في الغرب، فانها تعاني ايضا من عدة مشاكل تؤثر على سيرها العادي، و تخلق لها اضطرابا لا تخفى عواقبه اذا لم يتدارك. ان بعض الصعوبات يشترك فيها الغرب مع باقي الدوائر القوية المنتجة للسكر، و لكن توجد مشاكل خاصة بالغرب و تستدعي حلا محليا. و من أهم المشاكل هو تذبذب الانتاج حسب المواسم، و هو ما يفسر ضعف استعمال طاقة المعامل، و خاصة معامل الشمندر، و عادة ما يطرح مشكل التزود بالمادة الاولية في الدرجة الاولى. و هذا له ارتباط بالزراعة السكرية، و تأثرها بالتقلبات الجوية خاصة الجفاف و الفيضان، و كذلك بأزمة النقل. فمعدل استعمال طاقة المعامل متذبذب و قد تراوح بين 67% كحد أدنى في معامل الشمندر مقابل 47% في معامل السكر، و 85% كحد اقصى في كليهما في الفترة بين 1978 و 1987. و على سبيل المثال، فقد توقف معمل القصب لمدة 519 ساعة (ببلقصيري) و 902 ساعة (بدار الكداري) لنقص في المادة الاولية[15]. و يحدث نفس المشكل لمصانع الشمندر، نظرا لتذبذب الانتاج من الشمندر مادام معظمه يزرع على البور. و قد انعكس التأخير المسجل في التجهيز الهيدرومائي بدائرة الغرب سلبيا على محصول الشمندر و بالتالي على تغذية المعامل

إن النقص في المادة الاولية يمكن تفسيره بعدة عوامل منها :

- بنية مشارات الشمندر و صغر حجمها، و قلة امكانياتها و ضعف مردوديتها..
- النقل : و هذا المشكل لازال مطروحا بحدة في الغرب و خاصة بالنسبة لصغار الفلاحين الذين يعانون منه يوميا خلال جمع المحصول السكري. فالشمندر او القصب السكري يتطلبان معالجة فورية بعد قلع او حصد المحصول مباشرة، و الا فسد، و خسر الفلاح و المصنع معا.

و لعل هذا العامل، اذا ما اضيف الى عامل تماطل ادارات المعامل في تادية واجبات المحصول للفلاح، و رداءة شبكة الطرق، و الصعوبات التي يلاقيها الفلاح في

قطع القصب، و الشحن و النقل كلها عوامل تنفره من الاقبال على الزراعات السكرية خاصة الشمندر. ذلك أن هناك مزروعات فلاحية ذات مردودية تفوق الزراعات السكرية، مع انها لا تحتاج الى نفس المجهود المبذول في الشمندر كالحوامض، و القمح الطري و الخضروات مثلا.

ان ثمن الشمندر قد تطور من 115 درهما/طن عام 1979 الى 240 درهما/طن فقط سنة 1987، في الوقت الذي قفز فيه ثمن القطن من 260 الى 600درهما/ق و سعر عباد الشمس من 130 درهم/ق الى 410درهما/ق[16].

و لا شك ان هذه المصاعب التي ظلت عالقة رغم وعي كل الاطراف المسؤولة على الانتاج بها، و رغم التوصيات المكتوبة و الشفوية في عدة مناسبات[17] هي التي تفسر ضعف المردودية بالغرب و تراجع مساحة و انتاج الشمندر و تذبذبه.

إنما قد يكون هناك عامل آخر جديد يفسر هذا التراجع، و يكمن في بروز قصب السكر الذي لا يتطلب من الفلاح كل المجهودات المبذولة في زراعة الشمندر في حين ان مردوديته تبدو اهم. و لعل المسؤولين في الغرب هم الاخرين يشجعون زراعة القصب. و اذا كان الامر كذلك فما مصير الوحدات الصناعية الثلاث المعتمدة على الشمندر ؟ فهل ستعرض بمعامل القصب ان تنتظر انجاز مشروع سد مجعرة لتصبح زراعة الشمندر مسقية ضمانا لاستمرارية تغذية المعامل و رفعا لمردودية الهكتار.

2 - 3 اليد العاملة بمعامل السكر بالغرب

2 - 3 - 1 الاصل الجغرافي لليد العاملة

اصبح الغرب منطقة استقطاب لليد العاملة بعد استصلاح السهل، و انشاء وحدات صناعية و في مقدمتها الوحدات السكرية.

و من خلال دراسة ملفات العمال في كل من معامل السكر بسيدي سليمان (SUNAB)، و بلقصيري (SUNACAS و SUNAG)، و سيدي علال التازي (SUNAG)،

يتبين لنا بان المعامل المذكورة وفرت (بتفاوت) الشغل، و بالاساس لليد العاملة المحلية و الجهوية. و هكذا يلاحظ ان نسبة اليد العاملة المنتمية للغرب تفوق 66% في معمل سيدي علال التازي، و ازيد من 50% في معمل سيدي سليمان، و ما يقرب من 70% في معمل الشمندر ببلقصيري و ما يقرب من 80 % في معمل القصب بنفس المدينة

الجدول 6

الاصل الجغرافي	محليا		الغرب		جهات اخرى		المجموع	
المعمل و موقعه	ع	%	ع	%	ع	%	ع	%
(SUNAB) س. سليمان	130	40.75	34	10.66	155	48.59	319	100
(SUNAG) س. علال التازى	44	23.52	79	42.24	64	34.22	187	100
(SUNAG) بلقصيرى	89	43.84	52	25.61	62	30.54	203	100
(SUNACAS) بلقصيرى	65	46.76	45	32.37	20	20.86	139	100

المصدر : فرز ملفات العمال . سنة 1989. ع : عدد العمال.

و تفسر النسبة المرتفعة من خارج الغرب في معمل سيدي سليمان بكونه كان اول معمل انشئ، و كان يتطلب آنذاك يدا عاملة كفاة لم تكن متوفرة في المنطقة خاصة من الاطر المتوسطة و العليا، و التي جاءت من جهات أخرى و اساسا من الحواضر الكبرى

كالدار البيضاء و فاس و مكناس. و لا يدخل في الجدول الاطر العليا و عددهم 22 في معمل سيدي سليمان و جلهم من خارج الغرب، و جاءوا من مختلف انحاء البلاد.

و بصفة عامة تمثل اليد العاملة في هذه المعامل مابين الربع و الثلث من اصل جغرافي خارج الغرب، و اساسا من جهات مجاورة كالقصر الكبير و الخميسات.

و يجدر بالتذكير ان توطين بعض المعامل في مجال ريفي، ساهم في تشغيل اليد العاملة الريفية من الدواوير المجاورة كما هو الحال بمعمل سيدي علال التازي او بدار الكداري. و يصل اشعاع هذه المعامل الى الصحراء الغربية المغربية.

2 - 3 - 2 معطيات ديمغرافية حول اليد العاملة بالغرب

يلاحظ بان معظم اليد العاملة قد التحقت بهذه المعامل ابان تأسيسها او خلال السنوات الثلاث الاولى. و باستثناء نسبة ضئيلة من الاناث المشتغلات، فان باقي اليد العاملة من الذكور، نظرا للمجهود العضلي، و ظروف العمل الصعبة داخل المعمل، كالحرارة المفرطة التي قد تزيد عن 50 درجة مائوية، و هي شروط يصعب على الاناث تحملها، عكس ما هو عليه الحال في صناعات أخرى كمحطات التلفيف و النسيج حيث الحظور النسوي واضح.

كما ان معظم العمال متزوجون. فهم يمثلون في معمل سيدي سليمان 90%، و في سيدي سيدي علال التازي 95%، و هذا له علاقة بفئات الاعمار، حيث يلاحظ تقدم سن العمال خاصة في المعامل الاولى كمعمل سيدي سليمان، اذ أن العمال الكهول يمثلون فيه 90%، و هذا ما ينطبق على نصف عمال سيدي علال التازي ؛ بينما نسبة الشباب ضعيفة فهي لا تزيد عن 6% في معمل الشمندر، و 15% في معمل قصب السكر بمدينة بلقصيري (فئة اعمارهم تتراوح بين 20 و 31 سنة)، و هذا يظهر عدم تجديد بنية التشغيل في معامل السكر، و استقرار اليد العاملة.

كما ان نسبة الامية متفشية في هذه المعامل، فهي تمس ثلث (1/3) عمال سيدي علال التازي، و ثلثي 2/3 عمال معمل سيدي سليمان.

2 -3 - 3 اجور اليد العاملة و بعض مشاكلها.

من حيث الاجور فهي تتراوح بين 900 درهما كحد ادنى للاجور، و اقل من 3000 درهما، و لكن معظم العمال يتقاضون اجورا تتراوح بين 900 و 1500 درهما (يهم هذا 3/4 عمال سيدي علال التازي و دار الكداري)، اي ان متوسط الاجور يبلغ 1200 درهما، بينما الاطر المتوسطة و العليا تحصل على ازيد من 3000 درهما، و قد تفوق اجور بعض الاطر العليا 6000 درهما.

و يتحكم في الاجور سنوات الاقدمية، و المستوى الثقافي و التقني. و لعمال معامل السكر تعويضات و مكافآت سنوية و تسهيلات في الحصول على القروض لبناء السكن و اقتناء التجهيزات المنزلية، اضافة الى السكن الوظيفي الذي يهم فئة هامة من العمال، ذلك ان ادارات معامل سيدي علال التازي، بلقصيري و دار الكداري قد شيدت احياء عمالية يستفيد منها العمال و الاطر مقابل اداء واجبات شهرية رمزية.

و رغم هذه " الامتيازات " التي يتمتع بها العمال الدائمون بالمعامل المذكورة، فان هناك عدة مشاكل مادية و نفسية يعانون منها نظرا للعمل المرهق الذي يدوم 12 ساعة يوميا خلال الموسم السكري، و 8 ساعات خارج المواسم، اضافة الى ضعف الاجور الدنيا مع ارتفاع معدل عدد الاطفال الذي يبلغ في المتوسط 6 لكل عامل.

أما اليد العاملة الموسمية و المؤقتة، فهي تعيش مشكل عدم الترسيم، و البطالة خارج الموسم السكري، كما انها لا تستفيد من الخدمات الاجتماعية و " الامتيازات " التي يتمتع بها العمال الدائمون، و هذا يدعو الى ضرورة مراجعة اوضاعها في اتجاه تحسينها للرفع من الانتاجية و الانتاج.

3 - اهم انعكاسات الصناعة السكرية و عواقبها بمنطقة الغرب

ساهمت الصناعة السكرية في تنمية الاقتصاد الوطني بصفة عامة، و تقوية النسيج الصناعي بصفة خاصة مع خلق صناعات جديدة مرتبطة بها كصناعات

الكحول و الخميرة و علف المواشي .. كما ساهمت ايضا في ايجاد الشغل على عدة مستويات. غير ان لهذه الصناعة ايضا بعض العواقب السلبية خاصة تلوث البيئة. و سنقتصر على الاشارة الى اهم هذه الانعكاسات.

3 - 1 على مستوى الوسط الريفي

3 - 1 - 1 انعكاسات على مستوى السكان

ادى ادخال الزراعات السكرية الى منطقة الغرب الى تحسين مداخيل الفلاحين، لكن هذا لم يكن متكافئا بحيث استفادت منه فئة الفلاحين الكبار بصفة مباشرة او غير مباشرة. و على سبيل المثال، فقد حصلت تنمية قطاع تربية الابقار الحلوب، و اصبح الفلاح الكبير يحصل على كمية للعلف من معامل السكر وفق مدفوعاته لها من محصول الزراعة السكرية. اما الفلاح الصغير فينفق ما يحصل عليه من مداخيل محاصيله الزراعية لتسديد الديون المترتبة عنه، و للاستهلاك العادي (تغذية، لباس ..).

3 - 1 - 2 انعكاسات على فرص الشغل

من خلال مقارنة الشغل الموفر على مستوى الزراعات، يلاحظ ان الزراعات السكرية توفر أيام الشغل اكثر من الزراعات الأخرى كما هو موضح في الجدول التالي

الزراعات	قصب السكر	الشمندر		القمح الطري
		المسقي	البوري	
يوم/هكتار/السنة	135	141	120	13

المصدر : ORMVAG

فقد ادت الزراعات السكرية الى الاسراع في تطوير العمالة الفلاحية التي برزت في المنطقة مع دخول الاستعمار، و ساهمت بالتالي في توحيد علاقات الانتاج في المنطقة. غير ان العمل يتم في ظروف صعبة، و لا يتم احترام الحد الادنى للأجور الفلاحية. كما ان نسبة مهمة من اليد العاملة - بالخصوص في ضيعات الشمندر - تتشكل من الاناث و نسبة أخرى تشتغل في المعامل كعمالة موسمية عندما تسمح المسافة بذلك. غير ان الشغل يطرح مشكلا مزدوجا يتمثل في نقص اليد العاملة عند تزامن موسمي اقتلاع الشمندر و قطع القصب السكري، الشيء الذي يطرح مسألة اللجوء الى المكننة و التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار قوى العمل المتاحة آنيا و لاحقا.

3 - 1 - 3 انعكاسات على مستوى تطور السكن الريفي

إن إنجاز التصميم السكري يرتبط أشد الارتباط بانجاز التجهيزات الهيدروفلاحية، الشيء الذي يفرض تحسين الاوضاع المعيشية للفلاحين ليساهموا اكثر في انجاح المشاريع التنموية.

ان معالجة السكن الريفي يجب ان ينظر اليها من زاوية تقييم التجهيزات الاجتماعية و الثقافية، باعتبار ان العنصر الاساسي في استقرار السكان يكمن في تطوير هذه التجهيزات و رفع مستواها. و عموما يلاحظ اتجاه عام نحو تقوية تجميع المساكن الريفية، مع بروز تنوع في اشكال السكن : فالى جانب السكن الهش الموروث، ظهر سكن صلب يتوفر على بعض التجهيزات الضرورية (غرف، مراحيض، نوافذ ..) و هذا يعكس الاستفادة اللامتكافئة من مداخيل الزراعات السكرية.

3 - 2 الانعكاسات على مستوى الوسط الحضري

تبرز هذه الانعكاسات على مستوى المراكز القروية كسيدي علال التازي و دار الكداري من جهة، و على مستوى المدن الصغرى خاصة مشرع بلقصيري المتوفر على معملين من جهة أخرى.. فبفضل التسهيلات و القروض الممنوحة للعمال استطاعت نسبة

هامة منهم من تشييد منازلها الخاصة بها في اطار تجزئات الدولة كحي بام (PAM) بمشرع بلقصيري، اضافة الى ما شيدته المؤسسات الصناعية السكرية من احياء خاصة بالعمال و المستخدمين و الأطر، سواء في المجال الريفي او في الوسط الحضري. ففي بلقصيري انجز معمل السكر (SUNACAS) حيا متكونا من 60 منزلا للعمال قرب المعمل، و 24 فيلا للاطر في وسط المدينة. و شيد معمل الشمندر (SUNAG) حيا للعمال يتكون من 95 مسكنا للعمال و آخر للاطر يتكون من 21 فيلا.

و كان من نتائج ظهور صناعة سكرية ببلقصيري ان توسعت المدينة ، و ارتفع عدد سكانها في فترة وجيزة من حوالي 4000 نسمة سنة 1960 الى 8622 نسمة سنة 1971 و الى 15992 ن سنة 1982.

و نفس التطور عرفته سيدي سليمان حيث لعب معمل الشمندر (SUNAG) دورا مهما في نمو المدينة، و ارتفاع عدد سكانها من 10500 ن نسمة 1960 الى 20398 ن سنة 1971 و الى 50.457 سنة 1982. و قد شيدت المؤسسة السكرية حيا للعمال و الاطر و الذي تعتزم توسيعه مستقبلا.

3 - 3 بعض عواقب الصناعة السكرية على الوسط البيئي

لا تخلو هذه الصناعة من عواقب سلبية على البيئة و اساسا تلوث المياه الجارية خاصة سبو و بهت. و قد دق ناقوس الخطر منذ سنة 1970 عندما تم انجاز دراسة حول مستوى تلوث هذين النهرين من طرف اللجنة الدولية للتنسيق في مجال مياه التغذية (COPER)[18] و التي اظهرت بان هذه الاودية قد بلغت حدا لا تستطيع معه تطهير المواد الملوثة المقذوفة من طرف معامل الصناعة الفلاحية. كما اكدت على خطورة الوضعية، دراسة انجزها المكتب الوطني الصالح للشرب (ONEP) سنة 1980، و مختلف تقارير المختصين و التقنيين التي لاحظت بان معامل السكر تقذف بالسوائل الكيماوية دون معالجتها، و بحرارة تبلغ 60 درجة مائوية فاكثر، مما يعرض حياة المواطنين للخطر[19]

ان التاثير السلبي لتلوث المياه لا يمس الانسان فقط بل يتعداه الى كل الكائنات الحية، بل ايضا الى التجهيزات الهيدروفلاحية.

و على سبيل المثال، تهدد اخطار التلوث بوادي بهت اكثر من 5300 وحدة حيوانية كبرى، و 10400 رأس من الاغنام. و تهدد بانقراض بعض الانواع من الاسماك كالشابل. فقد انخفض عدد هذه الاسماك من 263.395 كلغ سنة 69 -1970 الى فقط 46.951 كلغ سنة 82 -1983، و هذا ما يعادل 80% من انخفاض حجمها. و تساهم كميات المياه المستهلكة من طرف المعامل السكرية (49950 م^3/يوميا) في النقص من حجم مياه الاودية خاصة في فصل الصيف.

كما ان السوائل المقذوفة تساهم أيضا في فساد و تدهور المعدات و التجهيزات الهيدروفلاحية.

و لا يقتصر التلوث على المياه بل يشمل ايضا الهواء و اليابس، و في هذا الصدد يمكن الاشارة الى الدخان الساخن المتصاعد من مدخنات المعامل، كمعامل السكر ببلقصيري و التي تتساقط على شكل جزئيات صغيرة من الحمم على المنازل المجاورة للمعامل المذكورة فتسبب انزعاجا للسكان.

و تقذف المعامل ايضا بنفاياتها الصلبة في المناطق المجاورة لها مما يؤثر سلبا على التربة و على نمو النباتات.

خلاصة عامة

من خلال الدراسة المعروضة نستنتج بان المغرب قد تمكن من توفير حوالي ثلثي (2/3) حاجياته من مادة السكر بفضل ادخال الزراعات السكرية و اقامة صناعة مرتبطة بها. و قد احدثت تحولات عميقة و ايجابية في المجتمع و المجال الريفي و الحضري، سواء على الصعيد الوطني او بسهل الغرب حيث ساهمت في تنمية المنطقة. انما مع ذلك، لازال المغرب يستورد جزءا من حاجياته من مادة السكر، في حين لا تشتغل تلك المعامل بكل طاقتها نظرا للمشاكل التي تعترض الزراعة والصناعة

السكرية، و هي مشاكل مرتبطة بالتقلبات المناخية، و ظروف النقل، و العمال و الفلاحين المشتغلين فيها على مستوى الحقول و المعامل.

و لتحسين مردودية هذه الصناعة وجب حل المشاكل التقنية، و تحسين شروط العمل، و الاهتمام بالفلاحين المنتجين و خاصة الصغار منهم، و العمال الموسميين. كما تلح الضرورة العمل على حماية البيئة من اخطار التلوث.

الرباط في يونيه 1990.